أسماء عبد الرحمن السالم

432200917

إشراف الأستاذة: بدرية العبيد

1436هـ - 201

الإنسان المهدور: دراسة تحليلية نفسية اجتماعية

تأليف دكتور علم نفس الاجتماعي: مصطفى حجازي. أطال الله عمره.

عن الدكتور مصطفى حجازي:

لبناني الجنسية حصل على دكتوراه في علم النفس من جامعة ليون بفرنسا، وعمل أستاذا للصحة الذهنية بجامعة البحرين.

مجالات تخصصه العام هي علم النفس، والبحوث والدراسات السكانية، وأما مجالات تخصصه الدقيق فهي الشباب والمراهقون والصحة العقلية والسلوك النفسي.

ألف الدكتور العديد من الكتب والدراسات المهمة جداً في مجال الصحة النفسية مثل: الشباب الخليجي والمستقبل: دراسة تحليلية نفسية اجتماعية لماذا العرب ليسوا أحراراً؟ الصحة النفسية: منظور دينامي تكاملي للنمو في البيت والمدرسة. وغيرها.

الدكتور مصطفى حجازي صاحب مشروع يطمح إلى توظيف علم النفس في خدمة قضايا التنمية الإنسانية بدءا بمعرفة خصائص وديناميات الإنسان العربي، وقد بدأ مشروعه بدراسة عنوانها: (التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور) التي صدرت عام 2001.

ثم أتبعها بدراسة تعتبر تتمة لما سبق وهي (الإنسان المهدور دراسة تحليليه نفسية اجتماعي) صدرت عام 2006.

كتاب التخلف الاجتماعي يقدم تحليلات عميقة لظاهرة التخلف في المجتمعات العربية ووضح ماهي الأسباب الاقتصادية والسياسية والنفسية و الاجتماعية، وركز فيه على دراسة المواطن المقهور في وطنه المستبد مستعرضاً دوافعه النفسية وأسباب استمرار تخلفه طارحاً أمثلة كثيرة لتسهيل الفهم على القارئ وإيصال المعنى كاملاً.

فالقهر في التعريف القاموسي هو: الغلبة والأخذ من فوق، بدون رضى الشخص الآخر، فالإنسان المقهور هو ذاك المغلوب على أمره، والقهر هو فقدان السيطرة على المصير ازاء قوى الطبيعة وقوى التسلط في آن واحد.

كتاب الإنسان المهدور يعتبر تطوير للدراسة السابقة من حيث التعمق والاستكمال، ومرة أخرى يختار الإنسان العربي كنموذج للهدر الإنساني النفسي الوجودي، والهدر يستوعب القهر الذي يتحول إلى إحدى حالاته.

وفي هذا الكتاب يستعرض الهدر بأنواعه، ما بين هدر الدم واستباحة حياة الآخرين، والاعتراف المشروط بإنسانية الإنسان، وكذلك هدر الفكر وهو الأخطر وهدر طاقات الشباب وغيرها من ألوان الهدر.

والواقع أن هذا الكتاب يصور الواقع السوداوي، المأساوي، يدخل اليأس في النفوس.

الكتابين من اصدارات المركز العربي الثقافي.

يقع كتاب الإنسان المهدور في تسعة فصول على النحو التالي:

الفصل الأول: هدر الإنسان، محدداته وتجلياته: ما قبل الديموقراطية والاعتراف بالإنسان.

الفصل الثاني: العصبيات والهدر.

الفصل الثالث: الاستبداد، الطغيان وهدر الإنسان.

الفصل الرابع: الاعتقال، التعذيب وهدر الكيان.

الفصل الخامس: هدر الفكر.

الفصل السادس: الشباب المهدور: هدر الوعي والطاقات والانتماء.

الفصل السابع: الهدر الوجودي في الحياة اليومية.

الفصل الثامن: الديناميات النفسية للإنسان المهدور ودفاعاته.

الفصل التاسع: علم النفس الإيجابي وبناء الاقتدار في مجابهة الهدر.

لن يتم التطرق للفصول التسعة كاملة، بل سأتطرق للفصول التي أشعر أنها مهمة وذات صلة بالمادة.

الفصل الأول: هدر الإنسان، محدداته وتجلياته: ما قبل الديموقراطية والاعتراف بالإنسان.

أولاً–ما قبل الديموقراطية: الاعتراف بإنسانية الإنسان

يبدأ الدكتور مصطفى حجازي بداية قوية في هذا الفصل، إذ يؤكد على أهمية تجاوز شعارات الحرية والديموقراطية التي تحولت إلى شعارات مبتذلة لكثرة تكرارها ويقترح تسمية الأشياء بمسمياتها الحقيقة حتى يصبح الحديث ذا جدوى.

فبدلاً من الحديث عن انعدام الديموقراطية يقترح أن نتحدث عما يسميه مثلث الحصار الفعلي والمادي المفروض على الواقع العربي وإنسانة. والمقصود بمثلث الحصار هو: حكم المخابرات، البوليس السياسي، العصبيات والأصوليات.

فإذا كان للحرية والديموقراطية أي معنى فهي التي تدين أركان هذا المثلث الذين يشكلون النقيض لأي تنمية.

فهذا المثلث هو السبب في قمع الإنسان العربي وقهره، وهو سبب فقده لإرادته بل وكيانه بكل ما فيه من حيوية ورغبة في الانطلاق، إن هذا المثلث يدفع الإنسان إلى الجمود الوجودي.

فهناك ما هو أسوأ من انعدام الديموقراطية والحرية وهو هدر إنسانية الإنسان وعد الاعتراف به والتحكم بمصيره وبما يقول ويفكر.

ثانياً–الهدر الإنساني: تعريف وتحديد

يكثر الحديث عن الهدر، سواء المالي، أو هدر الموارد وغيرها وغالباً ما يرتبط مفهوم الهدر بمعنى سلبي يدل على سوء الإدارة، مشاريع غير مجدية، سلب أموال. يؤكد حجازي أن هذا الهدر شائع عالمياً وتاريخياً بمقادير متفاوتة لكنها وللأسف تصبح في عالمنا العربي هي القاعدة، حتى إنها لم تعد تثير الفضائح كما البلدان المتقدمة.

ما يعنينا هنا هو هدر الإنسان ويقصد به التنكر لإنسانيته وعدم الاعتراف بقيمته وكيانه وحقوقه.

يرد في قاموس لسان العرب أن الهدر هو: ما يبطل من دم وغيره، اي ما يستباح ويمكن سفحه في حالة زوال حرمته التي تحصنه ضد التعدي عليه. أما فعل هدر، يهدر، هدراً فيعني بطل وفقد أحقيته وبالتالي يمكن ازالته باعتباره فاقداً للحق الذي يلزم باحترام حدوده، وعدم التعرض لكيانه. من ذلك يمكن القول إن الهدر الإنساني حلة ليست بنادرة، ويتخذ الهدر أشكالاً عده، منها عدم الاعتراف بالكفاءة، أو الحق في تحديد المصير.

يتراوح الهدر إذاً ما بين الحالات الفظة الصارخة التي تتخذ طابع هدر الدم والحياة، وبين الحالات الخفية الغير معروفة والمقنعة التي تسلب الاعتراف بإنسانية الإنسان وكيانه.

وهنا يتجلى الهدر الإنساني باعتباره أكثر جذرية من القهر، ذلك أن القهر هو اعتراف مشروط بكيان الآخر، أم الهدر فلا يوجد من الأصل اعتراف بقيمة الكيان والوعي والطاقة الكامنة، كما يجتلى الهدر باعتباره حلة منقطعة الصلة بمسألة الديموقراطية وغيابها.

وهكذا فالاستبداد ليس مجرد حجب للديموقراطية أو منع للحقوق، بل هو علاقة مختلفة نوعياً تقوم على اختزال الكيان الإنساني للآخرين إلى مستوى الرعية التي تعني لغوياً القطيع من الأكباش أو الأغنام (الجابري، 1990)

ثالثاً–ألوان الهدر ومستوياته

يمكن الحديث عن هدر عام وهدر خاص، أم الهدر العام فهو الذي يمس شرائح كبيرة ومجتمعات بأكملها، ومن حالاته هدر الطاقة وهدر الوعي والفكر. وكلها تولد مأزق وجودي يصعب على الإنسان تحمله، ليس من السهل على الإنسان تحمل فكرة ألا يكون.

ذلك أن وجودنا الإنساني مهما يكن محكوم بالقيمة والاعتراف من الآخرين بقيمتنا الذاتية وهذا الاعتراف شرط ضروري لاعترافنا بأنفسنا وإعطائها قدرها والاعتراف بإجابيتها.

وهنا تدخل فئة من ذوي التفكر والطاقات المهدورة والوعي في المعاناة الوجودية في تذبذبها ما بين الاكتئاب والمرارة والتبلد، وبين التمردات الداخلية والحرب على الذات المعاقة في كينونتها.

فالإنسان كائن منتم بالتعريف، كيانه الذاتي يتحدد بإطار من الانتماء إلى وطن وأرض وثقافة ومدينة ومجتمع وصولاً إلى الانتماء إلى منطقة حضارية. دوائر الانتماء هذه المتدرجة في اتساعها وارتقائها هي التي توفر إحساس الإنسان بأنه منغرس في المكان والزمان وبأن له كياناً تؤطره مرجعيات تجعله يشعر بالانغراس. (حجازي، 2006)

تحدث حجازي كذلك عن العولمة وأنها تهدر بدورها الانتماء من خلال مشروعها الموجه إلى الشباب فهي تحاول سلخهم عن هويتهم وانتمائهم، بحيث تلغي الوطن ليحل محله رقم الحساب المصرفي وبطاقة الائتمان كانتماء وهوية وحيدين كما يرى حجازي.

كما يعتقد حجازي أن المرأة والطفل هما أكثر شرائح المجتمع هدراً. فكيان المرأة يهدر من خلال تحويلها إلى أسطورة متعددة الدلالات فهي المرأة الغاوية، والمرأة ذات المكائد، فهي مجرد أداة يتم استغلالها، ولعل أبرز حالات هدر المرأة من وجهة نظر حجازي هي ما يمارس على كيانها من انشطار عاطفي ما بين صورة الأم رمز النقاء والطهر وصورة المرأة الغاوية موضوع اللذة وموضع الخطر. ويضيع الاعتراف بإنسانية المرأة بما هي كيان متكامل.

الفصل الخامس: هدر الفكر.

هدر الفكر هو أهم ركن، لأنها تصيب حيوية المجتمع ونمائه وتتركه في حالة الانكشاف وفقدان المناعة تجاه الغوط الخارجية المتنامية. تجمع الأدبيات أن قوة المعرفة هي أساس اقتدار المجتمعات، وما يحدثه هدر الفكر والوعي هو جعل المجتمع جثة هامدة عديمة القدرة على المجابهة.

أولاً–هدر الفكر

صفتان تميزان عالمنا الراهن والمستقبل هما: التسارع وانعدام التأكد.

الإنسان من حيث التعريف هو الكائن المفكر المعبر ذلك ما يميزه عن كل الكائنات الحية. والفكر هو نتاج التفكير، أي إعمال النظر في الشيء وتأمله.

فالفكر بما هو نتاج التفكير يخدم غاية كبرى وعي سيطرة العقل على العالم وظواهره وبالتالي سيطرة الإنسان على ذاته وواقعه وصولاً إلى صناعة المصير وعليه فهدر الفكر يقود إلى فقدان السيطرة وإفلات زمام تسيير الحاضر وصناعة المستقبل.

ثانياً–ألوان هدر الفكر

على صعيد ملف التعليم الذي أصبحت مشكلاته مألوفة فإن أخطر قضاياه تبقى تردي النوعية على مستوى حداثة المعرفة ومتانة إعداد العقل المعرفي. فالسائد على سبيل المثال في العلوم الإنسانية هو التلقين فقط، وتتلخص مهارة الطالب في الاستظهار لهذه المعلومة واستحضارها في الاختبارات وهذا أحد هدر تكوين الفكر العلمي التحليلي النقدي، والأخطر من ذلك هو نقل المعارف عن الغرب بدون استيعاب للفلسفات والأسس العلمية التي تقوم عليها.

والأسوأ من هذا كله وهو الأشد إهداراً للعقل والمعرفة هو اسباغ طابع اليقين الإيماني على ما نستورده من معارف، سواء النظرية ونتعامل مع هذه المعارف وكأنه القول الفصل وتمام العلم في تغييب متعمد للعقل النقدي.

ثالثاً–بعض نتائج هدر الفكر

من أبرزها قصور في التفكير التحليلي الناقد. كذلك من أوجه قصور الفكر سيادة العقل البياني والعرفاني على العقل البرهاني، فالعقل البياني يهدف إلى الإقناع من خلال الإبهار وتخدير الفكر والتسليم للمتسلط بسلطته باعتبارها أمراً خارج التساؤل والنقاش، أما العقل العرفاني فهو تعطيل الفكر الذي يؤمن بسلطة رجال الدين الذين يحتكرون حق تأويل النصوص الدينية ومن ثم التحكم في العباد. وفي كلا الحالتين يفقد الإنسان مرجعيته الذاتية لصالح مرجعية السلطة الخارجية.

الفصل السادس: الشباب المهدور: هدر الوعي والطاقات والانتماء.

يركز هذا الفصل على حالة الشباب تحديداً لأنه الأكثر عرضة للهدر.

يشكل حرمان الشباب من المشاركة في قضايا صناعة المصير واحداً من أبرز أركان هدرهم الوجودي، فتعرضهم للتهميش في قضايا أمتهم ووطنهم ومنعهم من الاحتجاج ورفع اصواتهم بالمطالبة يدفعهم إلى الانزلاق إلى التبعية ويحرمهم من امتلاك دور مهم في هذا الوطن.

أولاً–واقع الشباب

العولمة أخذت تعيد تشكيل واقع الشباب ولعل أهم تحولاته هي خروج الشباب خاصة والناس عامة من الإطار المرجعي للمجتمع التقليدي، أصبح لديهم اطلاع كامل على مايجري في أنحاء العالم من أحداث واضطرابات وصراعات التي تعلن على مدار الساعة في القنوات الفضائية.

فلم يعد الكبار يشكلون مرجعية فعليه للجيل الصاعد، بل الجيل الصاعد يعرف أكثر من الكبار ويتقن التعامل مع تقنيات المعلومات وأصبح هو المرجع للكبار في هذه الأمور.

ثانياً–هدر الطاقات والكفاءات

هدر طاقات الشباب في بلاد الهدر

أنظمة الاستبداد تركز حول الولاء والتبيعة وليس حول الأداء والإنتاجية ولهذا فلا وزن كبير أو أولوية لبناء الكفاءات في المقام الأول ومن ثم حسن توظيفها. فتستبعد الكفاءات الجيدة إذا لوحظ تزعزع أو تراخ في إظهار ولائها وتقرب بدلاً منها الكفاءات الرديئة. فالحصول على عمل لائق ومنصب محترم لا يقوم على جودة مهاراتك وإنما على ارتفاع التبعية لديك مما يجعل الشباب في مأزق مؤلم وينذر بالخطر، فالعجز عن تأمين العمل ومتطلبات الحياة وانسداد آفاق المستقبل أمامهم ورؤيتهم للمحظيين ينعمون بكل الخيرات تجعل الواحد منهم يشعر (أنه في جنازة دائمة، الأزمات تمشي معنا كظل، المستقبل غامض وروتين الحياة يطحن الأيام طحناً بلا رحمة) (زاوية الشباب، جريدة الحياة، 17\12\2004).

ثالثاً–التهميش وهدر المشاركة والدور

الشباب من حيث التعريف باحث عن البطولات التي ينتزع من خلالها الاعتراف والتقدير. من هنا يفهم سبب حماس الشباب وتضحياتهم في معارك المصير الكبرى، لكن الشباب يعاني أشد معاناة أمام حالة الهزيمة السياسة والعجز، ويعيش إهانة داخلية بسبب عجزه أمام مظاهر الفساد والظلم والاعتداء في نطاق الوطن الذي ينتمي إليه.

فتأتي العولمة لتعطيهم هذا النجاح والتقدير الذي يفتقدونه من خلال دفع الشباب إلى إدارة الظهر إلى الوطن والثقافة وتستبدلها بالنجاحات السريعة الرخيصة على شاشات التلفاز والقنوات.

مراجعات للكتاب:

1- هناك ما هو أسوأ من انعدام الديمقراطية... هدر الإنسان بقلم آمال موسى

قامت آمال باستعراض فصول الكتاب باختصار شديد غير مخل.

ذكرت تفاوتات هدر الإنسان، واعتبرت أن هناك ما هو أسوأ من انعدام الديموقراطية وهو هدر الإنسان وعدم الاعتراف بإنسانيته حتى أنها اختارته عنواناً لمقالها أو مراجعتها.

أدرجت العديد من مقولات الدكتور حجازي المقتبسة من الكتاب. وطرحت تساؤلات مهمة مثل لماذا لا يتغير الطاغية؟ و مالمقصود بالصور السلبية الثلاث التي هي الناس الأدوات والناس العبء والناس العقبة؟.

ثم أخيراً تحدثت عن الاستلاب الداخلي الذاتي وأنه أخطر أنواع الاستلاب ويجب تحصين الكيان من الوقوع فيه.[1]

2- الخواء الوجودي المستبد إذ يزلزل القناعات إلى حافة الذعر بقلم د. هيفاء بيطار.

تناولت هناء فصل واحد لتحلله حيث تراه أهم فصل في الكتاب لأنه الأكثر التصاقا بحياتنا وهو هد الفكر والهدر الوجودي في الحياة اليومية.

ذكرت في تحليلها كيف يشعر الإنسان لمهدور بأن وجوده معوق وكيف يؤثر ذلك بالطبع على طريقة تعامله مع الآخرين وحياته بشكل عام.

ثم ذكرت ماهي آليات الهدر الخطيرة مثل الاحتماء بالمقدس واللجوء إلى عوالم بديلة.

وأخيراً تقول أن أهم وسيلة لمقاومة الهدر هو أن يرتبط وجودنا بقضية كبرى تسبغ معنى وقيمة على حياتنا.[2]

3- نوال القصير

ركزت نوال القصي على أن الكتاب قادر على وصف حياتنا وصفاً دقيقاً موجعاً أحياناً. وكأن ذا الكتاب يمثل قارئه في كل شيء ويعريه أمام ذاته.

---

[1] موسى ، آمال ، 2005، مقالة نشرت في جريدة الشرق الأوسط، العدد 9683 ، تاريخ الخميس 24 ربيع الثانى 1426 هـ 2 يونيو 2005.

[2] بيطار ، هيفاء، 2005 ، جريدة تشرين السورية، تاريخ .19/10/2005

شبهت ما ورد في الكتاب بأدب السجون مثل القوقعة وتلك العتمة الباهرة.

وختاماً تؤكد أن هذا الكتاب مرشد ودليل وموجه وراقي ورائع وأنه يشعل داخلك ألف تساؤل لن ترضى إلا حينما تحلل وتبحث عن أجوبتها داخلك أولا.[3]

التقييم الشخصي للكتاب:

هناك بعض الكتابات العربية التي لها قيمتها المعرفية والعلمية على مستوى الوعي الاجتماعي، كما على مستوى التنمية الاجتماعية. فهي ضرورة لابد من قراءتها لأنها تقدم تفسيرات وتحليلات وأفكارا قادرة على الفعل والتأثير، نابعة من واقعنا ومتفاعلة معه. ومن بين هده الكتابات أعمال المفكر اللبناني مصطفى حجازي، الذي قدم كتبا معرفية وعلمية ممتازة تتميز بالنضج الفكري، وهي أعمال مفتوحة تحاور قارئها وتصدمه بتحليل واقعة الذي يعجز عن وصفه أحياناً وتدعوه إلى النقد وتوسيع المدارك لفهم أفضل للواقع المؤسف الذي نعيشه. مؤلفات مصطفى حجازي لا تدعو لأفكار مذهبية وإنما هاجسها الأول هو إنسانية الإنسان وحقه في العيش كإنسان فقط.

بعد قراءة ثلاث مؤلفات للدكتور أعتقد أنه السابق في عملية كتابة دراسات تهتم بالإنسان العربي فقط وتضعه نموذجا للأطروحة. الدكتور قدم معلومات هائلة ومذهلة في كتبة حقيقة، لكن أعيب عليه كثرة التكرار، فكثير من فصول الإنسان المهدور على سبيل المثال هي فصول مكررة من كتابة السابق مدخل إلى التخلف الاجتماعي، وكتابة الشباب الخليجي والمستقبل يحتوي القليل من الأفكار الجديدة التي لم يكررها مسبقاً في كتبه. ربما كان يقصد أنها مترابطة معاً لكن تكراره مزعج.

كذلك في كتابة الإنسان المهدور ترتيب الفصول و العناوين الجانبي مشتتة جداً جداً وأحياناً أشعر أنها فوضوية تسبب ارباكاً للإدراك والفهم.

---

[3] goodreds ، مراجعات ،2011 ، <https://www.goodreads.com/book/show/9457441> ، تم الدخول بتاريخ 22\2015 april

أزعجني في كتابة فكرة أن العالم الصناعي هو الذي يجب أن تسعى له المجتمعات العربية وكأن الغرب هو القدوة والمثال الأعلى، متناسياً اختلاف الثقافة والبيئة، وما نجح في أمة لن ينجح بالضرورة في أخرى. ومتجاهلاً كذلك اختلاف تركيب الأسرة والعائلة لدينا و أعتقد أنه تجاهل عمداً بعض القيم الرائعة لمجتمعاتنا لأنها فقط لا تمارس هناك في المجتمع الصناعي الغربي.

وأخيراً أنصح بشدة بقراءة مؤلفات الدكتور لأهميتها لكل مواطن عربي بسبب ما نعيشه للأسف حالياً، وتقيمي الشخصي له هو 3 من 5 نقاط.

المراجع:

- بيطار ، هيفاء، 2005 ، جريدة تشرين السورية، تاريخ 2005/10/19.
- goodreds ، مراجعات ،2011 ، <9457441/https://www.goodreads.com/book/show> ، تم الدخول بتاريخ april 22\2015
- موسى ، آمال ، 2005، مقالة نشرت في جريدة الشرق الأوسط، العدد 9683 ، تاريخ الخميس 24 ربيع الثانى 1426 هـ 2 يونيو 2005.
- الجابري، محمد عابد، (1990). العقل السياسي العربي. مركز دراسات الوحدة العربية.
- حجازي، مصطفى، (2013). الإنسان المهدور/ مركز دراسات الوحدة.